

## الفصل الخامس

### عمر يستفتح عهده

قُبض أبو بكر بعد مغيب الشمس من مساء الاثنين لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة للسنة الثالثة عشرة من الهجرة ( ٢٢ أغسطس سنة ٦٣٢ م ) فلما جنَّ الليل غُسل وحُمِل على السرير الذي حمل عليه رسول الله إلى المسجد ، وصُلى عليه ، ونُقِل جثمانه إلى قبر الرسول ، ودُفن في حفرة إلى جنبه صلى الله عليه وسلم ، وجُعِل رأسه إلى كتف رسول الله وألصق اللحد باللحد . وقد تولى دفنه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة ابن عبيد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر .

أتم عمر واجبه الأخير للخليفة الأول ، وخرج من حفرة القبر بدار عائشة فسلم على أصحابه ، ثم انطلق عائداً أدراجَه يؤمُّ داره بعد منتصف الليل<sup>(١)</sup> . ودخل مضجعه وجعل يفكر فيما يتنقَس عنه الغد . فسيبائه المسلمون من بكرة النهار ليتولى أمورهم ، فيواجه منهم من رضى استخلافه كارهاً ، ثم يواجه الموقف الحربي الجليل الدقيق في العراق وفي الشام ؛ فماذا عسى أن يفعل ليتغلب على هذين الأمرين وهما بأعظم مكان من جلال الخطر في حياة الدولة الناشئة .

كان موقف المسلمين بالعراق والشام يومئذ بالغاً غاية الدقة ، فقد جمعدت قوات المسلمين بالشام أمام قوات الروم فأججدها أبو بكر بخالد بن الوليد في عدد من جيش العراق . مع

(١) أورد ابن سعد في الطبقات روايات عن أول خطبة خطبها عمر ، ومنها رواية مستندة إلى عفان بن مسلم ووهب بن جرير عن جرير بن حازم عن حميد بن هلال عن شهد وفاة أبي بكر ، تجرى بما نصه : « فلما فرغ عمر من دفنه نفخ يده من تراب قبره ، ثم قام خطيباً مكانه » ثم تورد خطاباً سيتلو القارئ نصه في موضعه من هذا الفصل . ونحن نرتاب في قيام عمر بخطب في هذا الموقف ، ونرجح أن عمر أتى هذا الخطاب في موقف آخر . فقد أتى عمر أبا بكر كما أتته على بن أبي طالب وابنته عائشة أم المؤمنين لأول ما ذاع نبأ وفاته بعد مغيب الشمس ، ولم يزد عمر في تأييده على أن قال : « يا خليفة رسول الله ! لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، وليتهم نصباً . فهيات من شق غبارك ، فكيف اللحاق بك » . وقد دفن أبو بكر بعدما جن الليل . ودفن بدار عائشة في الحفرة التي دفن فيها رسول الله ، ولم يكن بالحفرة أحد غير الذين تولوا الدفن . وقد أراد عبد الله بن أبي بكر أن يعاونهم ، فقال له عمر : « كفيتم » . فليس طيبعياً أن يقوم عمر خطيباً في هؤلاء . ثم إن أكثر الناس كانوا قد أووا إلى منازلهم ، فلم يكن منهم بالمسجد في هذا الساعة إلا قليلون هم أهل الصفة ، لأن المسجد لم يكن يضاء في ذلك العهد .

ذلك أقامت القوات وخالد على رأسها ولا يبلغ المسلمين بالمدينة من نبئها ما يبعث إلى نفوسهم الأمل في نصرها أو يطمئنتهم على مصيرها . وقد ضعف جيش العراق بغياب خالد فيمن فصل بهم من المسلمين إلى الشام ، فلم يستطع المثنى بن حارثة الشيباني ، على براعته ومقدرته ، أن يحتفظ بكل ما غنمه المسلمون من سواد العراق ، فارتد إلى الحيرة وتحصن بها . حقاً إنه انتصر على جيش من الفرس وجهه شهريران بن أردشير بقيادة هرمز جاذويه ، فالتقى هو والمسلمون على أطلال بابل فردّوه مدحوراً . لكن المثنى رجع بعد نصره يتحصن بمواقفه الأولى خيفة أن يُبَاغَت ، موقناً أنه لن يستطيع التقدم وإن استطاع المقاومة . بل لقد تصبّح المقاومة أمراً عسيراً إذا اطمأن بلاط فارس وزال اضطرابه . لهذا كتب إلى أبي بكر يستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبتهم من أهل الردّة ، وكان أبو بكر قد حرّم الاستعانة بهم في الحرب . فلما أبطأ عليهم ردُّ الخليفة استخلف بشير بن الخصاصية على من بالعراق من المسلمين ، وذهب إلى المدينة يعرض موقفه الدقيق ، ويدافع عن رأيه في الخروج منه .

ترى كيف يواجه عمر هذه الأمور كلها ؟ في هذا وفيها يتصل به بات يفكر ليله ، ضارعاً إلى الله أن يلهمه الرأي ، وأن يهديه الصراط السوي . إنه سيرى المثنى في طليعة من يراهم متى أصبح ، وسيطلب المثنى إليه ماطلبه إلى أبي بكر من قبل ، أن يعينه بمن ظهرت توبتهم من أهل الردّة ، وسيردد المثنى أن التائبين من أهل الردّة يطمعون في مغنم الغزو ، فلا أحد أنشط إلى الحرب منهم ، وقد أوصى أبو بكر عمر في أمر العراق وصية لا بدّ من تنفيذها ، إذ دعاه إليه وقال له : « اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ! إني لأرجو أن أموت من يومى هذا . فإن أنا متُ فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تُصبحن حتى تندب الناس مع المثنى . وإن فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهله وولاء أمره وحده ، وهم أهل الضراوة بهم والجرأة عليهم » . أفيندب الناس مع المثنى أم يدعه يستعين بمن ظهرت توبتهم من أهل الردّة ؟ إنه ليخشى أن يتقاعس الناس إذا ندبهم بعد ما رأوا أصحابهم بالشام لا يستطيعون التقدم فيه ، ورأوا المثنى بالمدينة خائفاً من الفرس وصولتهم . ولكن المسلمين لابقاء لهم بالعراق إذا لم تعزز قواتهم فيه بمدد قوى . والتفكير في الانسحاب من تلك البلاد أمر لا يخطر للمثنى ببال ؛ فهو الذى دفع أبا بكر لغزوها ، وهو الذى تقدم خالداً والمسلمين جميعاً إليها ؛ فليس حيناً على نفسه أن يجلو عن بلد كان الطليعة في غزوه ، وأن يجلو عنه وهو موقن بمقدرته على فتحه . ولو أن عمر أمده بالتائبين من أهل الردّة ، لتابع الفتح ففضّ على كسرى إيوانه .

ولم يخطر الانسحاب من العراق ببال عمر كذلك ؟ فإنما استخلفه أبو بكر ثقة منه بأنه أقدر المسلمين على متابعة سياسته ولا سبيل إلى متابعة هذه السياسة إلا أن يأخذ الأمر بالحزم . وأن يتفد وصية الصديق فيندب الناس مع المثني ، وأن يعزز قوات المسلمين بالشام . أترى وجوه المسلمين وأصحاب رسول الله الذين برموا باستخلافه يعاونونه في ذلك صادقين ؟ وإذا ترددوا في معاونته فما عساه يصنع ؟ وماذا يكون من أثر ترددهم في العرب وفي ولائهم للمدينة ؟ ألا إن سياسة الحزم وحدها هي التي تنجح في هذا الموقف . والحزم لا ينقص عمر . فليعزم الأمر ، وليتوكل على الله !

بات عمر وقد عناه التفكير في هذا كله ، وأصبح فخرج إلى الناس بالمسجد ، فأقبلوا على بيعته إقبالا سکن بعض ما جاشت به نفسه . فلما كان الظهر وازدحم الناس للصلاة ، صعد عمر المنبر درجةً دون الدرجة التي كان يقوم أبو بكر عليها ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ، وذكر أبا بكر وفضله ثم قال : « أيها الناس ! ما أنا إلا رجل منكم ، ولولا أني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ماتقلدت أمركم » . قال هذه العبارة متأثراً في تواضع ورفق أخذ بهما الناس ورأوا فيهما دليلاً على صدق فِراسة الصديق فيه ، وبُعد نظره في استخلافه ، فأتنوا على عمر خيراً وزادهم ثناءً عليه أن رأوه يتوجه بنظره إلى السماء ويقول : « اللهم إني غليظ فليتي ! اللهم إني ضعيف فقوتي ! اللهم إني بخيل فسختني ! » . وأمسك عمر هنية حتى سكن الناس ، ثم قال : « إن الله ابتلاكم بي ، وابتلاني بكم ، وأبقاني فيكم بعد صاحبي . فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ، ولا يتغيب عنى فألو فيه عن الجزء والأمانة ، ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم ، ولئن أساءوا لأنكئن بهم » .

أتم عمر كلامه ثم نزل فأم الناس للصلاة ، حتى إذا فرغ منها التفت إليهم فندبهم للذهاب إلى العراق مع المثني ، وذكر لهم وصية أبي بكر في ذلك . وسمع الناس نداء الخليفة ، فنظر بعضهم إلى بعض ثم لم يجب الدعوة منهم أحد . وكأنا ذكرنا ما أصاب إخوانهم بالشام ، فلم يريدوا أن يصابوا بمثله . أليس أبو بكر قد دعاهم لغزو الشام فترددوا فقام عمر يومئذ فصاح بهم : « مالكم يا معشر المسلمين لا تجيبون خليفة رسول الله إذا دعاكم إلى ما يحييكم ! » عند ذلك أجابوا الدعوة ، فساروا لمواجهة هرقل وجنوده . وهام أولاء أبو عبيدة بن الجراح وعمر بن العاص ويزيد بن أبي سفيان ، ومن معهم من الصحابة ومن تبعهم من الأمراء والأبطال من مختلف الأرجاء في شبه الجزيرة ، في موقفهم من الروم لا يستطيعون التغلب عليهم ، ثم لم يُغن عنهم أن أمدهم أبو بكر بخالد بن الوليد بعدما دَوَّخ الفرس بانتصاراته

في العراق . أتراهم يكونون أحسن حظاً إذا لبوا نداء عمر وساروا مع المثنى في العراق ؟ ! أم تراهم يقفون هناك من جنود كسرى موقف أصحابهم بالشام من جنود هرقل ؟ ! وليس يطمع أحد منهم في أن يرده عمر خالداً إلى العراق وهم يعلمون سوء رأيه فيه ، ويذكرون موقفه منه في حادث مالك بن نويرة .

والمثنى بن حارثة قائد عظيم لاريب ، ولكنه ليس من قريش وليس من أصحاب رسول الله ، بل هو من بني بكر بن وائل . ثم إنه لم يلبث ، حين فصل ابن الوليد من العراق إلى الشام ، أن انسحب من سواد العراق إلى الحيرة ، ثم جاء إلى المدينة يستمد الخليفة ، ويدل بذلك على أنه في مكان من الفرس لا يحسد عليه . ولعل له عذره ، فاسم الفرس كان يلقى في قلوب العرب الرعب . ولقد ظن بعضهم أن خالداً غلبهم لأنهم استخفوا بادى الرأي بأمره ، فلم يواجهوه من قوتهم بما يرده على عقبه . أما ذلك الشأن فما لم ولقتال قد تدور عليهم دائرته ؟

كم يَخِفُّ أحد من الزعماء وأولى الرأي ملبياً نداء عمر . وإذا تناقل هؤلاء كان غيرهم من جمهور الناس أكثر تناقلاً . هنالك أطرق عمر هنية ، ثم عاد إلى مجلسه من المسجد وعاد الناس يتابعون على بيعته وانصرف الناس بعد العشاء ، وبقى عمر ليله يفكر . فلما أصبح وأخذ مكانه من المسجد ، وعاد الناس يتابعون على بيعته ، ونادى المنادى لصلاة الظهر ، فما لبث عمر حين انفصل منها أن نادى في الناس بصوته الجهور يأمرهم أن يردوا سبائاً أهل الردة إلى عشائهم ، ويعلل ذلك بقوله : « إني كرهت أن يصير السبي سنة في العرب » .

سمع الناس هذا الأمر ، فشخصت أبصارهم إلى عمر ، وجعلوا يتساءلون بينهم : ماذا أراد به ؟ ! لقد سبى المسلمون من العرب في حروب الردة تنفيذاً لأمر أبي بكر حين أذاع في أرجاء شبه الجزيرة أنه أمر كل قائد من قواده ألا يقبل من مرتد إلا الإسلام ، ومن أبي يقاتله على ذلك ، ولا يبيح على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة ، ويسبى النساء والذراري . أفيريد عمر بهذا الأمر أن يخالف أبا بكر وأن يجرى على غير سنته ؟ أم أنه رأى الناس تقاعسوا حين ندهبهم للذهاب مع المثنى فأراد أن يستميل العرب من مختلف القبائل إليه ليمد المثنى بهم ؟ أيأ ما كان الأمر ، فما أمر به جديد في سياسة الدولة يقف النظر ويوجب التساؤل .

الحق أن عمر لم يذق النوم في الليلتين اللتين انقضتا منذ قبض أبو بكر إلا غروراً .

فالناس يتتابعون على بيعته احتراماً لعهد الصديق ووصيته . ولكن الكثيرين من زعمائهم لا يزالون يبرمون به لغلظته ، وقد كان لبعضهم في ولاية الأمر مآرب . ولن تستقيم الأمور في دولة لا يتضامن أولو الرأي فيها على توجيه سياستها ، والموقف أدق من أن يدعه عمر للزمن مكتفياً بأن يدعو الله أن يحببه للناس وأن يحبب الناس إليه . فإن لم يأخذ الأمر بالحزم أوشكت شئون الدولة أن تضطرب . أما وقد أمر برد السبي إلى عشائرتهم فتألف قبائل العرب وكسب قلوباً كانت تنفر من شدته ، فليمض غير متردد في سياسته . ولقد خرج إلى الناس بالمسجد في اليوم الثالث ، فلما فرغوا من بيعته قام فيهم فقال : « إنما مثل العرب مثل جمل أنف<sup>(١)</sup> اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده . أما أنا فورب الكعبة لأحملهم على الطريق » .

ازدادت الأبصار شخوصاً إلى عمر ، ونحى إلى الحاضرين بالمسجد جميعاً أن هذا الرجل سيكون عليهم سوط عذاب بشدته وغلظته . ورأى عمر ذلك في وجوههم ، فصعد المنبر حين ازدحموا لصلاة الظهر فقال :

« بلغنى أن الناس هابوا شدتي ، وخافوا غلظتي ، وقالوا قد كان عمر يشدد علينا ورسول الله بين أظهرنا ، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف وقد صارت الأمور إليه ، ومن قال ذلك فقد صدق .

« . . . إنني كنت مع رسول الله ، فكنت عبده وخادمه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان - كما قال الله - بالمؤمنين روفاً رحياً . فكنت بين يديه سيفاً مسلولاً حتى يُغمدني أو يدعني فأمضي . فلم أزل مع رسول الله حتى توفاه الله وهو عني راض ، والحمد لله كثيراً وأنا به أسعد .

« ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر ، فكان من لا تُنكرون دعتة وكرمه وليته ، فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدتي بليته ، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يُغمدني أو يدعني فأمضي . فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راض . فالحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد .

« ثم إنني وليت أموركم أيها الناس . فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين . فأما أهل السلامة والدين والقصد فأننا ألين لهم من بعضهم لبعض . ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض ، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يُدعن بالحق . وإنني بعد شدتي تلك أضع خدي على

(١) جمل أنف أى ذلول ، وهو الذى عمر الخشاش أنفه ، فهو لا يمتنع على قائده للرجوع الذى به .

الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف .

« ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها :

« لكم على ألا أجتبي شيئاً من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه . ولكم على إذا وقع في يدى ألا يخرج منى إلا في حقه . ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى ، وأسد ثغوركم . ولكم على ألا ألقىكم في المهالك ، ولا أجمركم في ثغوركم <sup>(١)</sup> ، وإذا غبتم في البعث فآنا أبو العيال

« فاتقوا الله ، عباد الله ، وأعينوني على أنفسكم بكفها عنى ! وأعينوني على نفسى بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » .

قال عمر هذا القول ثم نزل فأمّ الناس للصلاة ، وأتمها ثم انصرف عنهم . وجعل الناس يفكرون فيما سمعوا منه . لقد عرفوه رجلاً صريحاً ظاهره كباطنه ، وسره كعلانيته وعرفوه رجلاً عادلاً مع ما فيه من شدة وغلظة . وما هو ذا يذكر لهم أن شدته لن تكون إلا على الظالمين . وهو لا يخدعهم حين يقول إنه سيكون لأهل السلامة والقصد ألين من بعضهم لبعض ، فقد عرفوا من رفقته فى بعض المواضع مالا سبيل إلى إنكاره أو نسيانه . ثم إنه وعدهم أن يزيد فى عطايهم وأرزاقهم ، وأن يكون أباً لعيالهم إذا غابوا عنهم فى حرب . أليس خليقاً بهم أن يؤلوه كل ثقتهم ، وأن يجيبوا دعوته إذا دعاهم ؟ !

كان ذلك شأن كثيرين من سواد الحاضرين . أما زعمائهم فقد ظلوا فى بحفظهم ، برماً بعمر من جانب بعضهم ، وهيبة للموقف فى الشام وفى العراق من جانب الأكثرين . وعاد عمر لصلاة العصر ، ثم ندب الناس مع المثنى فأتاقلوا . وكان المثنى حاضراً ، وكان شديد الإلحاح على عمر أن يعينه بمن ظهرت توبتهم من أهل الردة ، فهم لقتال الفرس أنشط . . وزاد إلحاحه شدة حين أمر عمر بردّ السبي من أهل الردة إلى عشائرهم ، ثقةً منه بأن هذا الأمر سيجعلهم أكثر إقبالا على السير معه . فلما أبطأ عمر فى إجابته إلى ما طلب ورأى الناس يزدادون إقبالا على عمر وطمأنينة لخلافته ، طمع فى أن يتقدموا لما ندبهم الخليفة له . لكنه رأى تناقلهم ، وتبين فى وجوههم أن وجه فارس من أكره الوجوه إليهم ، وأنقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وعزهم وشوكتهم وقهرهم الأمم . عند ذلك وقف يخطبهم فقال :

(١) تجمير الجيش : جمعهم فى الثغور وجبهم عن العود إلى أهلهم .

« أيها الناس ! لا يعظمنَ عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تبجحنا<sup>(١)</sup> ريف فارس وغلبناهم على خير شقَى السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأ مَنْ قَبَلْنَا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها » .

سمع عمر عبارة المثني ورأى حسن أثرها في الناس فقام فيهم خطيباً ، فكان مما قاله لهم : « إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على التُّجعة<sup>(٢)</sup> ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك . أين الطُّرَّاء المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يُورثكموها ، فإنه قال (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) . والله مُظْهِرُ دِينِهِ ، ومعزَّ ناصره ، ومُوَلِّ أهلكه موارِيثَ الْأُمَمِ . أين عباد الله الصالحون ! » .

شعر الناس بما في ثناقلهم من سبِّه لهم بعد الذي سمعوا من كلام المثني ومن كلام عمر . إنهم نصرُوا رسول الله وأعزوا دين الله ، ونصروا أبا بكر من بعده فنصرهم الله ، فما بالهم لا يتحركون لدعوة عمر ! وترددوا : ألبئس الدعوة أم يظنون على تقاعسهم . وإنهم لكذلك إذ تقدَّم أبو عبيد عمرو بن مسعود الثقفي للسير إلى العراق ، فكان أولَ منتدب لهذا الأمر الجليل . وثني من بعده سليط بن قيس . عند ذلك اجتمع الناس إليهما وأجمعوا السير معهما ، فكان معهما ألف رجل من أهل المدينة . ورأى عمر اجتماع ذلك البعث فاغتبط أيما اغتباط ، وحقق قلبه شكراً لله أن أخرج المسلمين من ذلك الجمود الذي كانوا فيه ، والذي أوشك أن يفسد عليهم أمرهم .

مَنْ من المهاجرين والأنصار يتولى إمارة البعث ؟ فكر الذين ترددوا في إجابة الدعوة في هذا الأمر ، وخافوا أن يجعل عمر الإمارة على جيش فيه عدد عظيم من أهل المدينة لواحد من غير أهل المدينة . لذلك أسرع قوم إلى الخليفة يقولون له : « أمر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والأنصار » . لكن ترددهم ثلاثة الأيام الأولى من خلافة عمر قد حَزَّ في نفسه وأحفظه عليهم . لذلك لم يتردد أن أجابهم : « لا والله لأفعل ! إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو . فإذا جئتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء . والله لا أوامر عليهم إلا أولهم انتداباً » . ثم دعا أبا عبيد فولاه الإمارة ، ودعا سعد بن عبيد وسليط بن قيس وقال لهما : « أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدركتما بها إلى مالكما من المقدمة » .

(١) تبجح المكان : توسطه وتمكن منه .

(٢) النجمة : طلب الكلأ في موضعه .

اطمان المثني بن حارثة حين رأى هذا الجيش يتأهب للسير معه إلى العراق . أما عمر فرأى ألا حاجة بالمثني إلى البقاء بالمدينة ؛ ولذلك أمره أن يرجع إلى العراق فيلحق بقواته فيه ، وقال له : « النجاء حتى يقدم عليك أصحابك . . » . وأخذ الجيش الجديد في الأهبة ، حتى إذا ذني موعد الرحيل قال عمر لأبي عبيد بوصيه :

« اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب ، والحرب لأبصالحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف » هذه مشكلة معقدة ألم الله عمر فيها الرأي ، فحلها في أربعة الأيام الأولى من خلافته . ثم لم يصرفه اشتغاله بها عن التفكير في المشاكل الأخرى القائمة أمامه . فقد فكر في أمر الشام ، وفي أمر نصارى نجران ، وفي سائر الأمور التي كان يرى فيها غير رأى أبي بكر ، وفكر في الخطة التي يجب أن يسير عليها لينفذ رأيه ويجمع المسلمين حوله . وكان حين تنفيذه رأيه في هذه المشاكل صريحاً كعهد المسلمين به ، حازماً غاية الحزم ، لا يعرف التردد ولا المداراة ، ولا يأبي أن يحمل التبعة كاملة ، لأنه كان يؤمن بأنه على الحق ، وأن الله مؤيده لذلك لامحالة .

لقد عرف الناس جميعاً سوء رأيه في خالد بن الوليد ، وحرصه في حادث مالك بن نويرة على أن يُقيد أبو بكر منه . ولم يتغير رأى عمر في خالد من بعد هذا الحادث . وقد فصل خالد من العراق إلى الشام بأمر أبي بكر وولى الإمارة على قوات المسلمين فيه ، ثم قضى به أكثر من شهر فلم يتغلب على قوات الروم ، بل لم يواجههم . أية فرصة خير من هذه لعزل خالد عن إمارة الجيش ورد هذه الإمارة إلى أبي عبيدة ! وهذا ما فعل عمر . فقد كتب إلى أبي عبيدة غداة قبض أبو بكر ، يخبره بوفاة الخليفة ، ثم كتب بعزل خالد وتولية أبي عبيدة إمارة الجيش مكانه ، وأن يكون خالد أمير اللواء الذي كان أبو عبيدة أميره . وبعث بوفاة أبي بكر مع يرفاً مولاه ، وبعزل خالد وإمارة أبي عبيدة مع محمية بن زنيم وشداد بن أوس . وأوصى أبا عبيدة في كتاب توليته بقوله : « لا تُقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تُترهم منزلاً قبل أن تستر يده لهم وتعلم كيف ماتاه ، ولا تبعث سرية إلا في كُثفٍ من الناس . وإياك وإلقاء المسلمين في هلكة ! وقد أبلاك الله بي وأبلائي بك ، فغمض بصرك عن الدنيا وأله قلبك عنها . وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك فقد رأيتم مصارعهم ! » .

كيف غامر عمر بعزل خالد وخالد على رأس قوات المسلمين بالشام ، وهذه القوات

في موقف دقيق ! فقد كانوا هناك يزاء الروم لا يواجهونهم ولا يقدرّون من أمرهم على شيء ، ولا يقدر الروم من أمر المسلمين على شيء . كان ذلك موقفهم قبل أن يذهب خالد بن الوليد من العراق إليهم . ثم ظلوا فيه بعد أن أقام خالد بينهم . كان كلا الفريقين يتحين الفرصة التي يخرج فيها من جموده ، ويوقع فيها بعدوه . أفلا يخشى الخليفة أن يفتر أمره بعزل خالد من أعضاء المسلمين فيزيد موقفهم دقة ؟ أولم يكن الأجمل به أن يترث حتى يخرج خالد بالمسلمين من المأزق الذي هم فيه ، وله بعد ذلك أن يأمر بما يشاء ؟ !

هذه اعتبارات لها من غير شك قيمتها في تطور القتال . وسنرى من بعد أن أبا عبيدة قدّرها قدرها دون أن يخشى برّم الخليفة به ، أو غضبه عليه . لكن عمر نظر في الأمر من غير هذه الناحية . فلو أنه أرجأ الأمر بعزل خالد إلى ما بعد المعركة لأضرّ ذلك سياسته وأفسد عليه خُطته . فليس للمعركة مصير إلا أن ينهزم المسلمون فيها أو ينتصروا . فإن انهزموا لم يُغن عزل خالد عن هزمتهم ، وإن انتصروا وخالد قائدهم لم يكن لعمر أن يعزل قائداً في أوج نصره ، فإن فعل أتى أمراً إذاً . وعمر حريص على ألا يبقى خالد على القيادة العامة بالشام أو بغير الشام . لذلك أسرع فأصدر الأمر بعزله ، وله من العذر أن خالداً لم يحقق ما ندبه أبو بكر لتحقيقه . فإذا انتصر المسلمون بعد هذا فلا تريب على عمر فيه ، فهو إنما صنع ما اقتنع بأنه الحق ، وصنعه وخالد في موقف لا يظلمه فيه من يأمر بعزله .

يتساءل الناس إلى يومنا هذا عن السر في عزل عمر خالداً ، وخالد سيف الله على لسان رسول الله ، وهو الذي قضى على الردة وفتح العراق ، وهو البطل لا يُشَقَّ غباره ، وعبقري الحرب غير منازع . أحقاً أن مقتل مالك بن نويرة وتزوج خالد من امرأته قد بقي له من الأثر في نفس عمر ما حمّله على هذا التصرف ؟ أم خشي عمر أن يفتتن خالد بالناس كما افتتنوا به لانتصاره المتصل في الحرب ، وقد يجرافتانه على الدولة شراً ؟ يرى بعضهم هذا الرأي الأخير ، ويذكرون أن خالداً رجع إلى المدينة يسأل عمر عما حمّله على عزله فأجابه : « ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس ، فخشيت أن تفتتن بالناس » . وهذه رواية لاسند لها . فالثابت أن خالداً لم يذهب إلى المدينة بعد عزله ، وأنه بقي بالشام يتابع غزواته بإمرة أبي عبيدة حتى عزله عمر عن كل عمله بالجيش في السنة السابعة عشرة من الهجرة . ولا أحسب كذلك أن مقتل مالك بن نويرة كان سبب العزل . فقد انقضت سنتان بين هذا الحادث واستخلاف عمر ، وفي هاتين السنتين بلغت عبقرية خالد في القيادة أوجهاً ، وكانت فعالة في غزوة اليمامة وفي حرب العراق حديث الناس جميعاً في شبه الجزيرة وفي

فارس والروم . وعندى أن عمر إنما عزل خالداً لأن الثقة بين الرجلين لم تكن قائمة قبل خلافة عمر ولا في أثنائها .

ولست أقصد ثقة عمر بعبقرية خالد ، أو ثقة خالد بعدل عمر ، وإنما أقصد الثقة القائمة على ما يكون للرجل من حسن الرأي في صاحبه حتى يُغضى عن هناته ، وحتى لتذهب الحسنة التي يأتيها صاحبه أضعافها من سيئاته . وقد كان عمر يرى في خالد زهواً يدفعه إلى التسرع في الحرب ، وإن لم يكن للتسرع مسوغ ، وإن خالف به أمرولى الأمر . وقد دفعه الزهو والتسرع إلى القتال يوم فتح مكة ، حين نهي النبي عن القتال ، كما دفعه للسير إلى بنى تميم وقتل مالك بن نويرة دون إذن من أبي بكر . وكان خالد ينسب كل ما يوجهه الخليفة الأول إليه من لوم إلى تحريض عمر ، حتى ليقول حين أمره الصديقي بمغادرة العراق إلى الشام : « هذا عمل الأعراس ابن أم سخلة ، حسدني أن يكون فتح العراق على يدي » . وإذا ضاعت الثقة بين رجلين على هذا النحو ، لم يكن تعاونهما مستطاعاً ، وبخاصة إذا كان أحدهما رئيس الدولة والآخر أمير جندها وصاحب لوائها . لا عجب إذاً أن يعزل عمر خالداً حتى لا تكون بينهما صلة مباشرة ، بل يكون أبو عبيدة هو الذى يوجه خالداً ويصدر إليه أوامره . وقد كانت الصلة بين خالد وأبي عبيدة مودة وحسن رأى .

قد يعترض على رأينا هذا بأن الخليفة لا يلى أمر الدولة لحسابه ، بل لحساب المسلمين جميعاً . وكان من الواجب لذلك على عمر أن ينسى ما بينه وبين خالد ، وأن يدع سيف الله يمضى لابشيمه ، متأسياً في ذلك بأبي بكر ، وما صنع ضارباً المثل للمسلمين في تقدير الرجال بأعمالهم ، والسمو بهذا التقدير على الآراء والميول الذاتية . وهذا اعتراض له وجاهته في المنطق النظرى لا ريب . لكن وجاهته هذه تتضاءل كل التضائل أمام الواقع من أمر هذه الحياة . فنحن معشر الناس ، لانتصرف في شؤون الحياة بعقولنا وحدها ، بل إن لعواطفنا علينا لسلطاناً أئى سلطان . وسواء أكان مانصرف فيه من خاصة شئوننا أو بعض ما وكل إلينا من شؤون غيرنا فإننا نتأثر حين التصرف فيه بشعورنا كتأثرنا بعقولنا ، وقد يكون الشعور أكبر من العقل أثراً في اتجاهاتنا . ومن المحال أن نقيم بين حكم الشعور وحكم العقل حداً فاصلاً . صحيح أن بعض الناس أكثر تأثراً بشعورهم ، وبعضهم أكثر تأثراً بعقلهم ، لكن اختلاف الكم لا يغير من تزاوج الشعور والعقل في توجيه أحكامنا . ولا ريب أن قد تأثر عمر بشعوره نحو خالد . ولعله كذلك قد ظن أن خالداً حسده على الخلافة ، كما

ظن خالد من قبل أن عمر حسده على فتح العراق . والرجلان بالغان غاية القوة كل في ناحيته . فإذا تعارض شعور كل منهما نحو صاحبه على هذا النحو ، خيف أن يتصادما ، وأن يكون لتصادمهما أثر سيئ في شئون الدولة وفي مصيرها . لذلك أخذ عمر الأمر بحزم حاسم لا يعرف هواده ، غير ناظر إليه من ناحية العدل وما يوجبه ، بل من ناحية النظام العام ومن ناحية أمن الدولة وسلامتها .

على أن تصرف عمر بعزل خالد لم يكن شذوذاً منه ، وإن كان الأول من نوعه ، بل كان سياسة جرى عليها مع الولاة والأمراء طيلة عهده . وسرى من بعد أن مؤاخذه هؤلاء الولاة والأمراء بالشدّة كانت من مألوف خطته ، وأنه كان يدعوهم إليه ، ويحاكمهم عما يبلغه من شكايات ، ويعزل من لا يقتنع بدقته وأمانته في أداء عمله . ذلك أنه كان يحرص على تركيز السلطة كلها في يديه . وذلك قوله أول ولايته : « والله لا يحضرنى من أمركم شيء فيليه أحد دوني . ولا يتغيب عني فألوفيه عن الجزء والأمانة ، ولئن أحسنوا لأحسن إليهم ، ولئن أساءوا لأنكئن بهم » . إذا اجتمع هذا الرأي في سياسة الدولة إلى ما عرف عن عمر وسوء رأيه في خالد وضياع الثقة والألفة بين الرجلين ، تكشف السر في عزل خالد ، وتكشف مكان هذا السر من نفس عمر .

عزل عمر خالدًا عن إمارة الجيش بالشام وردّها إلى أبي عبيدة . لكن ذلك لن يغير من موقف المسلمين بإزاء الروم ، ولن يشد أزرهم في قتالهم ، بل لعله يؤدي إلى التقيض فتكون الطامة الكبرى .

وإذا كان عمر أمر برد السبي من أهل الردة إلى عشائرتهم فكسب بذلك قلوبهم ، فقد أقبلوا سراعاً من كل حدب يلبون دعوته يريدون أن يأخذوا في الحرب بنصيب يطهرهم من سابق ردّتهم ، ويجعل لهم ولدوهم من مغنم الحرب ما لسائر المسلمين . لذلك اطمأن عمر إلى توفيق الله في معالجة الموقف الدقيق لجيوش المسلمين خارج شبه الجزيرة ، فاتجه بتفكيره إلى ناحية أخرى لا تحالف سياسة رسول الله وسياسة الصديق في أساسها ، وإن خالفت هذه السياسة في بعض تفاصيلها .

ذلك أن رسول الله دعا الناس كافة إلى دين الله ، لم يفرّق في دعوته بين أهل الكتاب وغيرهم ، وقد رأى يهود المدينة في هذه الدعوة خطراً عليهم ، فوادعوا محمداً وعاهدوه على حرية العقيدة . لكنهم ما لبثوا حين رأوه يستقرّ له الأمر أن ائتمروا به ، فقاتلهم وأجلاهم عن المدينة وعن أكثر منازلهم من شبه الجزيرة ، ولم يبق منهم إلا قليلون بعد غزوة خيبر صالحوه على

البقاء بأرضهم والعمل فيها على أن يكون للمسلمين النصف من غلاتها . أما نصارى نجران فبعثوا وفداً يجادل النبي ، فلما دعاهم ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، تولوا وعادوا إلى بلادهم . ثم إنهم بعثوا إليه وفداً صالحه على الجزية يدفعونها لقاء دفاع المسلمين عن حرية عقيدتهم . فلما تولى أبو بكر أقر نصارى نجران وعاهدهم على ما عاهدهم النبي عليه ، واقتضى يهود خيبر ما كان يقتضيه رسول الله .

ونظر عمر في الأمر يوم استخلف فاتجه فيه وجهة جديدة . فقد دعا إليه يعلى بن أمية وألقى عليه أن يجلي نصارى نجران عن ديارهم ، وقال له : « إيتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلي من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح أرض كل من يجلي منهم ، ثم خيرهم البلدان . وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ألا يترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرج من أقام على دينه منهم ، ثم نعطيه أرضاً كأرضهم إقراراً لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بدمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم من الريف » .

يحسب بعضهم أخذ عمر بهذه السياسة نقضاً لما صنعه رسول الله وما تابعه الصديق عليه . والمستشرقون يذهبون لذلك في التحامل على عمر إلى حدّ لومه على ما صنع . أما المؤرخون المسلمون فيلتمسون له المعاذير ، فيذكر بعضهم أن رسول الله إنما عاهد نصارى نجران على ألا يُقتلوا عن دينهم « ما رعوا العهد ، ونصحوا ، ولم يأكلوا الربا » . وأنهم أكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، فنقضوا العهد ، فحقّ لعمر أن يجليهم عن شبه الجزيرة . ويذكر آخرون أنهم اختلفوا فيما بينهم واشتد اختلافهم ، فطلبوا إلى عمر أن ينقلهم إلى ديار غير ديارهم . ويذهب غير هؤلاء وأولئك إلى أنهم قويت شوكتهم ، فخشيم عمر فأجلاهم . وسواء أصح بعض ما روى من ذلك أم لم يصح كله ، فإنه في رأبي لم يكن السبب في تصميم عمر على إجلائهم عن شبه الجزيرة ، وإنما يرجع السبب في ذلك إلى تكييف عام لسياسة الدولة اقتنع به عمر فنقذه في حزم وعدل .

ولكى نقدر هذا التكييف يجب أن ننفي عن عمر تهمة التعصب كما يليقها عليه المستشرقون ! فهم يذكرونها متخذين من اقتناع أهل هذا العصر الحاضر بمبدأ حرية العقيدة حجة لهم في مؤاخذه عمر بما صنع ، وهذا خطأ أدى إليه تجاهل الواقع . فالواقع من عصر عمر أن العقيدة كانت أساساً جوهرياً في حياة الجماعة ، فكان المخالفون لعقيدة الجماعة أو الخارجون عليها يُعدّون في حكم الأجانب عن الجماعة ، بل في حكم الخارجين عليها ،

وكان حربهم لذلك حلاً لصاحب الأمر بل واجباً عليه . ولهذا حارب محمد في دعوته إلى الله وإلى دين الله ، ولهذا شبت حروب شعواء بين الروم والفرس بسبب العقيدة . وقد ظل الأمر على هذا في أوروبا وفي غير أوروبا إلى عهد غير بعيد منا . ففي سبيل العقيدة شبت الحروب الصليبية بين النصارى والمسلمين ، وفي سبيلها حدثت المآسى والمجازر بين الكاثوليك والبروتستانت . وقد عاهد رسول الله نصارى نجران لأن شبه الجزيرة لمّا تكن وحدتها السياسية قد تمت . فكانت نجران لصيقة باليمن التي ظلت على وثنيها زمناً غير قليل بعد هذا العهد بين محمد وهؤلاء النصارى . فلما قبض رسول الله وخلفه أبو بكر ، كانت اليمن في طليعة من انتفض على سلطان المدينة وارتد عن الإسلام ، فكان طبيعياً أن يعاهد الصديق نصارى نجران على ما عاهدهم رسول الله عليه . وقد قضت حروب الردة على الانتفاض وعلى الردة جميعاً ، وأدى القضاء عليهما ثم أدى ما تلاهما من غزو العراق والشام إلى توطيد الوحدة السياسية والوحدة الدينية في أرجاء شبه الجزيرة جميعاً ، فأصبحت كلها دولة واحدة ، عاصمتها المدينة ، وحاكمها خليفة رسول الله . وكذلك تولى عمر أمر المسلمين وقد زالت الأسباب التي أدت إلى معاهدة نجران في عهد النبي وفي عهد الصديق ، وأن لعمر أن يفكر تفكيراً جديداً في سياسة دولة اتحدت أجزاءها من شمال شبه الجزيرة إلى جنوبها ، وأصبحت المدينة عاصمتها لا ينازعها منازع .

أمّا وقد أصبحت بلاد العرب دولة متحدة تدين كلها بيد واحد ، ويسوسها رجل رضى أهلها جميعاً بيعته ، فجدير بأميرها أن ينقذ عنها كل سبب للضعف أو الوهن . ومن أسباب الوهن لأمة أن تتعدد أجناسها أو تتعدد الشرائع ذات السلطان النافذ بين أهلها . ذلك أمر أقره الناس ولا يزالون يقرّونه . ولذلك نرى المعاهدات المختلفة إلى أحدث العصور تنقل الجماعات من أهل الجنس الواحد إلى صعيد واحد . ولذلك لا تبيح أمة متحضرة أن يقوم فيها أكثر من تشريع واحد . والإسلام يتناول فيما يتناوله أموراً لا تتفق ومقررات النصرانية . فهو يحرم الربا ، والنصرانية لا تحرمه ، ويحرم الخمر ، والنصرانية لا تحرمها . وهو دين توحيد ، والنصرانية دين تثليث . وقد كانت هذه المقررات وما إليها نافذة يومئذ لا يستطيع أحد أن يتسامح فيها كما يتسامح الناس فيها اليوم باسم حرية العقيدة . فلم يكن عجباً أن يصّر عمر على ألا يترك بجزيرة العرب دينين وقد أصبح للعرب في شبه الجزيرة كلها دين واحد ارتضوه في عهد رسول الله وعادوا إليه بعد ما ارتد بعضهم عنه في عهد أبي بكر . فوحدة الدين هي الكفيلة بطمأنينتهم وبمئانة وحدتهم ، وبألا تقوم بينهم وبين من لم يكونوا

على دينهم ثائرات نجني على الطمأنينة أو تعبت بالوحدة . وهذا ما فعل ؛ وهذا دعا إليه يعلى بن أمية وألقى عليه أن يجلي نصارى نجران .

وتصرف عمر في هذا الأمر خليق بالحمد ، غير خليق بالتحامل ولا باللوم . فهو لم يلجأ إلى مالجأ إليه أصحاب الكثرة من الكاثوليك أو البر وتسانت ؛ إذ كانوا يرهقون خصومهم في المذهب حتى ليقتلوه بعد أن يذيقوهم العذاب ألواناً ؛ بل كان أول ما أوصى به يعلى ألا يفتن نصارى نجران عن دينهم ، وأن يدع لهم الحرية كاملة في البقاء عليه أو التحول عنه إلى الإسلام ، وأن يعطيهم أرضاً كأرضهم خارج شبه الجزيرة . بذلك لا يظلمهم ولا يصنع معهم إلا ما تصنعه الدول المتحضرة اليوم ، إذ تنقل أهل جنس من الأجناس إلى حيث تقسيم كثرة من بني جنسهم ، وحيث يأمنون أن يضرهم الاختلاف في الجنس مع جيرانهم أشد مما يضر الكثرة الضخمة القائمة من حولهم .

لم يرتب الناس بعد ما عرفوا من أمر عمر بإجلاء نصارى نجران في أنه سيُجلى اليهود ويجلى غير المسلمين جميعاً عن شبه الجزيرة . وقد كانت هذه السياسة جديدة ، لكنهم لم ينكروها ولم يعجبوا لها . بل لعلمهم كانوا أكثر عجباً لتولية أبي عبيد الثقفي إمرة الجيش بالعراق وفيه من فيه من أهل المدينة مهاجرين والأنصار ، ثم كانوا أكثر من ذلك عجباً لعزل خالد ابن الوليد عن إمارة الجيش بالشام . لكنهم رأوا عمر يأخذ الأمر بالحزم والعدل معاً ، وذكروا موافقه من رسول الله ومن أبي بكر ، ثم ذكروا موقف المسلمين ودقته بالعراق والشام ، ورأوه يخطبهم منكرًا نفسه متجرداً لله في سبيل خيرهم جميعاً ، فأثروا أن يدعوا له الأمر وأن يلقوا عليه التبعة ، وأن يضرعوا إلى الله بالدعاء أن يوقفه كما وفق أبا بكر قبله .

ولم يكن ما يخطبهم عمر به أقل من سائر الاعتبارات أثراً في نفوسهم ؛ فقد كان إخلاصه يتجلى في عباراته ، وكان إنكاره لنفسه وتجرده لله في سبيل خيرهم تم عنهما كل كلمة من كلماته . كان يقول لهم : « إني لأرجو أن عمريت فيكم ، سيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وألا يبقى أحد من المسلمين ، وإن كان في بعته ، إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله » . وكان يقول : « إني امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل . ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله . إنما العظمة لله عز وجل . وليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحدكم إن عمر قد تغير منذ ولي . أعقل الحق من نفسي ، وأتقدم وأبين لكم أمري . فأبما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق فليؤدني ، فأبما أنا رجل منكم . . وأنا حبيب إلى صلاحكم ، عزيز على عتبتكم . . وأنا مسئول عن

أمانتي وما أنا فيه ، ومطلع على ما يحضرنى بنفسى إن شاء الله ، لا أكله إلى أحد ، ولا أستطيع ما بُعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة . ولست أجعل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله . بهذه الأقوال وبمثلها كان عمر يخطب الناس فيتألف قلوبهم . وقد تألف قلوب العرب فى أرجاء شبه الجزيرة منذ أمر بردّ السبي من أهل الردة إلى عشائرتهم . فلما أمر أبا عبيدة ، وعزل خالداً ، وأمر بإجلاء نصارى نجران ، لم ير الناس فى ذلك كله ما يرمون به ، وإن رأوا فيه جديداً استفتح عمر به عهده ، مستقلاً فيه برأيه ، غير متأسّ فيه بسلفه . وما هم يرمون به ، وتبعت ذلك كله عليه ، وقد عرفوه رجلاً يضطلع بأجسام التبعات فلا ينوء بحملها ، وكثيراً ما يلهمه الله الرأى فيما ينهض به منها ، فيكون التوفيق رائده ونصيبه ا

وجلس عمر يوماً فى المسجد وقد فرغ من توجيه المسلمين إلى سياسته ، وقد آن لهم أن يتقدّوها ، وأقبل عليه أبو عبيد يودّعه ليسير إلى العراق فى الجيش الذى اجتمع حول الزّاية ، وأقبل فى أثره عدد من الناس غير قليل ، وكلهم يحيون خليفة خليفة رسول الله . وقد وجدوا هذا اللقب ، برغم ترديدهم له ، ثقيل النطق ثقيلًا على السمع فجعلوا يتحدثون بينهم فيما اختلجت به نفوسهم . وإنهم لكذلك إذ أقبل بعضهم يحيى عمر ويقول : « سلام الله عليك يا أمير المؤمنين <sup>(١)</sup> » . واغضب الناس لهذا اللقب الجديد حين سمعوه واقتربت ثغورهم أمانة رضاهم عنه . ومن يومئذ لم يدع أحد عمر خليفة خليفة رسول الله بل دعاه الناس جميعاً « أمير المؤمنين » . وبقي هذا اللقب له ولمن بعده من خلفاء المسلمين وملوكهم .

والآن قد سبقنا المثنى إلى العراق فلنسارع لنلحقه به ، ولنرو حديثه حين يدركننا أبو عبيد بجيشه ، فتكون القيادة العامة له ، ثم يكون له من حسن البلاء ما ينتهى به إلى المغامرة وإلى الاستشهاد .

(١) أورد ابن عساكر فى ( تاريخ دمشق ) روايتين فيمن بدأ بدعوة عمر أمير المؤمنين . أولاًهما : أن المنيرة ابن شعبة هو أول من دعاه بهذا اللقب . والثانية . أن عمر كتب إلى عامله بالعراق أن ابعث إلى رجلين جلدتين نيبلين أسألهما عن أمر الناس ، فبعث إليهم بعدى بن حاتم الطائى وليد بن ربيعة . فلما بلغا المدينة أتاخا راحتهما بقاء المسجد ثم دخلاه ، فاستقبلا عمرو بن العاص فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين . قال عمرو : فدخلت على عمر فقلت : يا أمير المؤمنين ، فقال : لتخرجن مما قلت أو لأفعلن : قلت : « يا أمير المؤمنين ، بعث عامل العراق بعدى بن حاتم وليد بن ربيعة . . . فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقلت : أتما والله أصبنا ؟ هو الأمير ونحن المؤمنين » ، فبقي هذا اللقب لعمر من ذلك اليوم ونجى الكتاب به .